الذئب والراعي الصغير

تأليف: عماد حسن الشافعى
رسوم عطيه الزهيري

مكتبة الإيمان بالمنصورة - بجوار جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

« الذئب والراعى الصغير »

ذاتَ ليلة، كان الراعى العجوزُ، والغلامُ الصغيرُ يجلسان أمام الخَيْمة وقد أوقدا ناراً، وراحا يصطليان ويحتسيان الشاى الساخن اللذيذ. .

وكانت الشياهُ والأغنامُ فى الحظيرة جنبهم ساكنةً، نائمةً، وفجأةً انطلقتْ صيحةٌ عاليةٌ كأنها الرعدُ من خلال التلال القريبة: عووو. . . !

وسادَ الصمتُ لحظةً، ثم جاءتْ الأصواتُ من التلال الأخرى مُدوِّيةً: عووو. . !

شعرَ أحمدُ «الغلام» بالرعب، ونظر إلى جَدِّه « الراعى العجوز» وقال له بضيقٍ: إننى أكرهُ ذلك الصوت ياجَدِّى. .

قال العجوز: إنها الذئابُ ياأحمد، ويبدو أنها الليلة تعوى بفرحة. . إنها تغنى وتضحك مثلنا.

قال أحمد: إن هذه الأصوات ياجدى تزلزل قلبى، وتغرسُ الرُعبَ فى صدرى. إننى أكره الذئابَ. . أكرهها بشدة. .

قال الجَدُّ: إنها يا أحمد فى هذه الصحراء الواسعة منذ زمن، وتأكلُ وتشربُ، وتجرى وتلعبُ، بل هى أيضا مثلنا تُحبُ وتكرهُ.

قال أحمد: لكن ياجدى هذه الذئابُ حيواناتٌ مفترسةٌ



وشَرِسَةٌ ألا تراها تخطفُ منا الشياهَ الصغيرة، وتأكلها؟!

قال العجوز : نعم يا أحمد هى حيواناتٌ مفترسةٌ، ولكن هى لا تكون كذلك إلا إذا جاعتْ، أو رُوِّعتْ، فهى مثلنا يجب أن تأكل، وأن تشبع، وأن تحيا آمنة .

قال أحمد: هل يعنى ذلك ياجدى أن الذئب إذا صادفته شاةٌ وكان شبعاناً، هل يتركها ولا يقتلها؟!

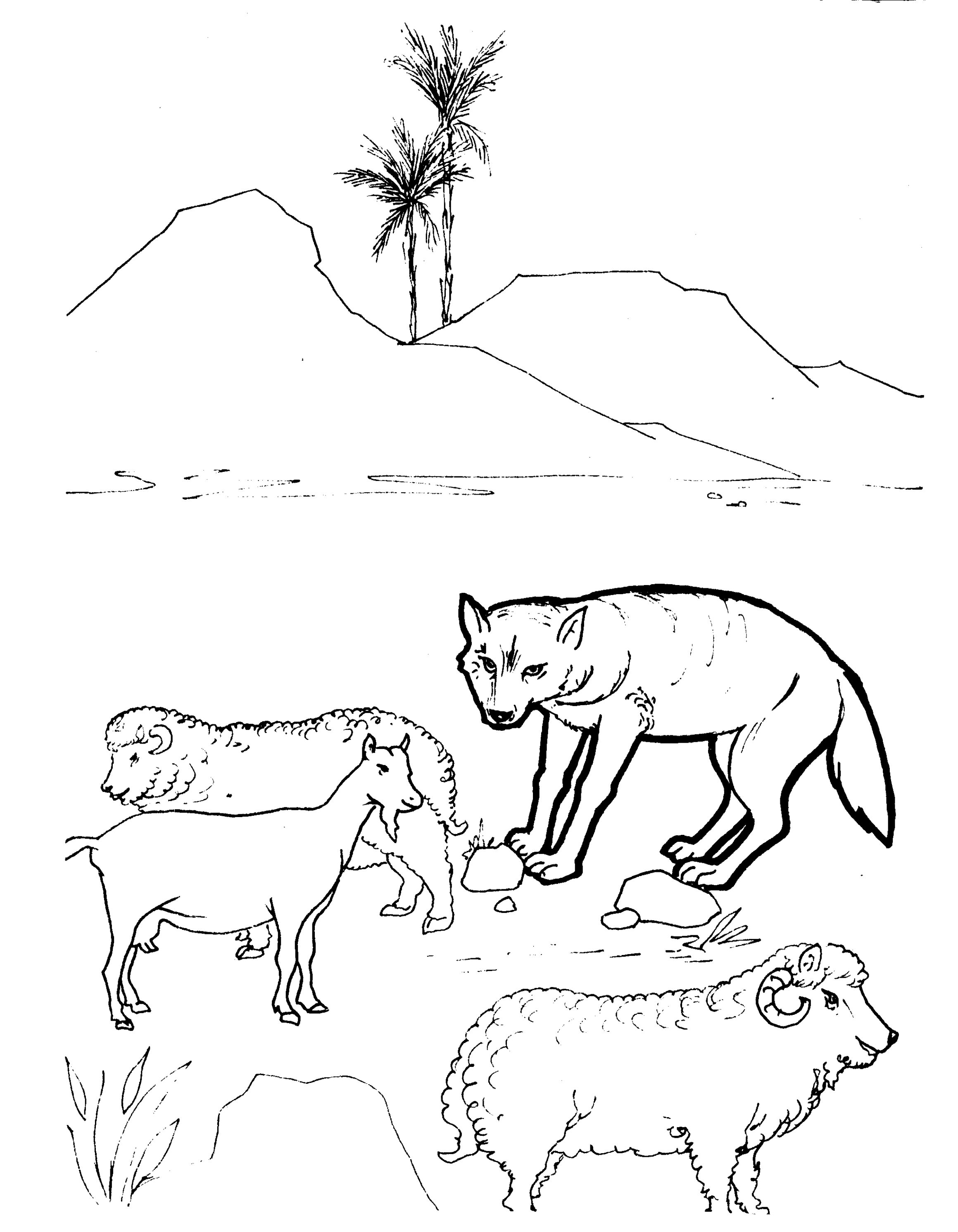
قال العجوز: نعم يا أحمد، فهذه الذئاب لا تأكل حتى تجوع، وإذا شَبِعَتْ لا تُؤذى غيرها، بل لاتُؤذى الإنسان نفسه. .

ويذكُر التاريخُ لنا أن الذئابَ كانت أيام خلافة عُمر بن العزيز - الخليفةُ العادلُ - تعيشُ وسط الشياه والأغنام ولاتؤذيها. . فقد مرَّ رجلٌ يومًا بقطيع من الغنم ترتعُ فى المرعى، ورأى بينها مايُشبه الكلاب كثيرٌ. . فسأل الراعى عن هذه الكلاب الكثيرة التى ترعى مع الغنم.

فضحك الراعى وهو يقول: إنها ليست كلاباً ياسيدى، إنها ذئاب!! ودُهش الرجلُ وسأل: ذئابٌ ترعى مع الغنم؟! شىءٌ عجيب!

فقال الراعى له: نعم بل هى تحرسها أيضاً، إن الحاكمَ قد عَدَل بين الناس، فبارك الله فى الرزق، وحمى الغنمَ من شرِّ الذئاب. . وهى أيضاً يأتيها رزقها. .

تعجب أحمد من كلام جده « الراعى العجوز».



كانت الشياهُ هادئةً فى حظيرتها، وكان أحمد قد التفَّ ببطانيةٍ وتهيَّأ للنوم، وبينما كان الجد يعدّ نفسه للنوم إذا بالذئابِ تُرسل فى الليل عُواءَها الرهيب: عووو. . ! عووو. . !

قال الجد لأحمد : إن للذئاب نغمة مختلفة هذه الليلة. . أنها تُخبرنا أن هناك مطر. . ليس الليلة، وربما ليس غداً أيضاً، لكنه قريبٌ جداً. . فالذئب ياولدى يشعرُ بتغيراتِ الطَقْسِ.

كان أحمد يستمتع بالدفء، ويستمتع بحديث جده، الراعى العجوز الذى يعرفُ عن الحياة أشياء كثيرة، والذى علمته الحياة فى الصحراء أن يُحبَ كل الكائنات، ويعيشَ بينها آمناً سالماً.

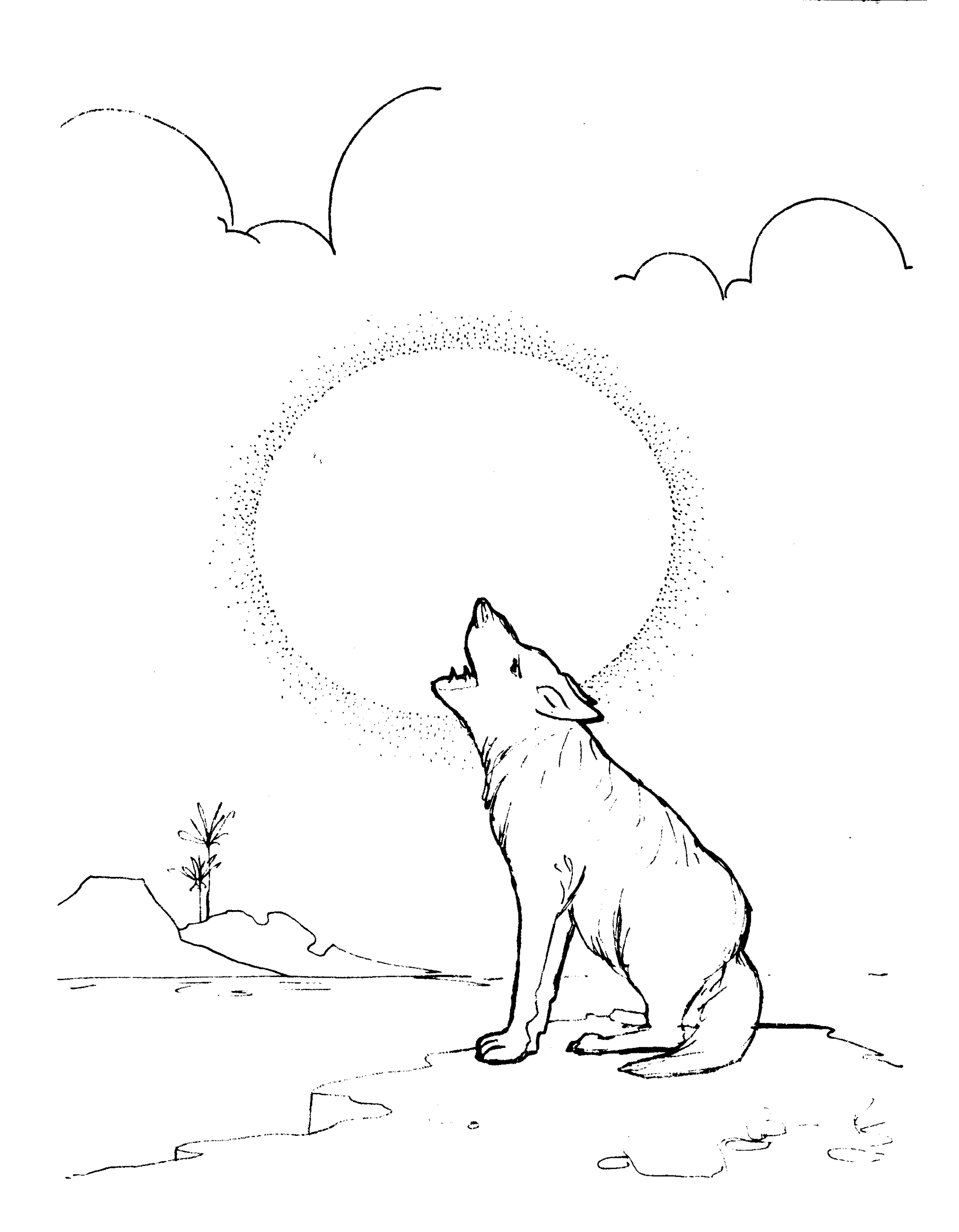
تعلَّم العجوزُ أن كل شىء فى الكون له جمالٌ ورَوْعةٌ، ألوانُ الصخورِ والطيورُ، والأشجارُ والسُحبُ.

قال العجوز: الذئبُ ياولدى يعوى لقدوم الشتاء، وأحياناً يعوى من شدة الجوع، وأحياناً من العطش، وأحياناً يغنى لزوجته.

إننى أعرفُ يا أحمد إن كان الذئب ـ عن طريق نغمته وحركته يجرى بمفرده فى التلال، أو أنه يعوى خوفاً من القنَّاصةِ والفِخاخِ.

قال أحمد: دَعْهُ يخافنى ياجَدِّى. .

تبسَّمَ العجوزُ ضاحكاً ثم قال: أحياناً يبدو الذئبُ ضاحكاً، ليس خائفاً من أى شىء على الإطلاق وكثيراً مارأيتهم يجتمعون ويلعبون ويطارد بعضهم الآخر، وهم يلهثون من الرَكْضِ.



وكنتُ أنظرُ إلى حِيَلِهم حيث يلفون ويدورون بطريقةٍ مدهشةٍ وهم يرقصون.

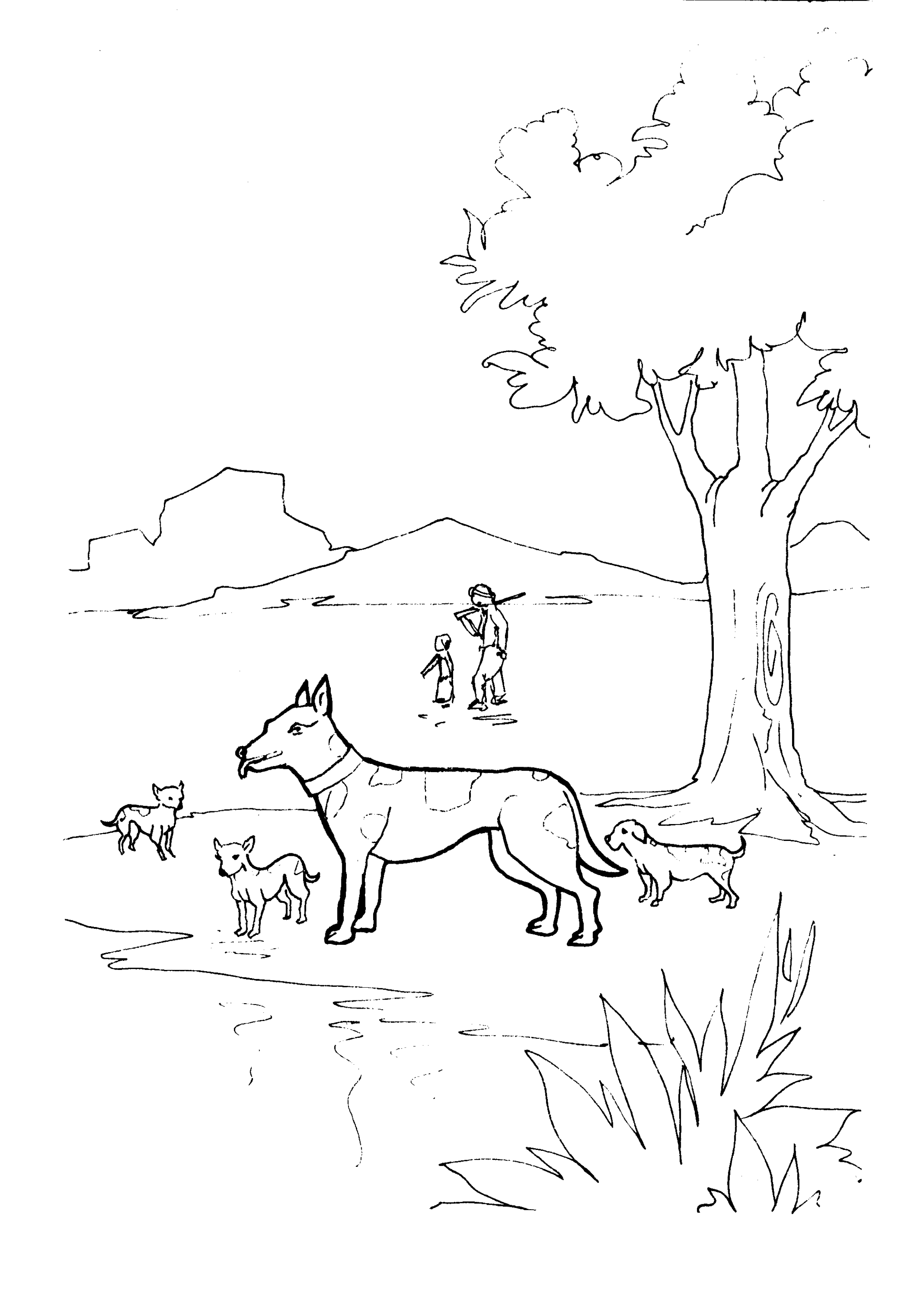
كان أحمد يفكر فى رقص الذئاب، وتخيَّل نفسه وهو يقابل واحداً منها.

إن الذئبَ هو عدوُّه اللَّدودُ فى هذه الصحراء..فهو يختبىءُ طوال النهار ثم يخرج بالليل ليتسكع على ضوء القمر.

إن أحمد وجَدَّهُ لا يسمحان لأنفسهما بالنوم العميق، فهما يناماان، ويحلمان ولكن يستمر انصاتهما إلى الأغنام، إذْ لابد من الحَذر. فقد يَنْعَق البُومُ، أو يقتربَ الذئبُ من الحظيرة، فتبيتُ الشياهُ فى ذُعرٍ ورُعبٍ.

وإذا تحركتْ الشياهُ فإن العجوزَ يستيقظُ أسرعَ من أحمد، ويهرعُ إلى الحظيرةِ صائحاً فى غنمه بأن يلزموا الهدوءَ والصمتَ وعينُه تدور فى المكان لتكشف ما الذى يفزعها. وغالباً يكون هناك ذئب. وبمجرد أن يرى الذئبُ ضوءَ المصباح، حتى يولىّ مُدْبِرًا، ويلوذُ بالفرار، ثم يظلُّ العجوز يجرى ويقفز فى الحظيرة حتى تهدأ أُمهات الشياه، فيعود الهدوء مرةً أخرى للقطيع.

كانت الكلبةُ «لاكى» ذات الشعر الطويل الجميل تنام فى الحظيرة لتحرس الغنم، لكنها كانت من حين لآخر تغيب عن الحظيرة لترعى صغارها الأربعة الذين يختبئون تحت أغصان شجرة التين، فى مكان لايبعد كثيراً عن الحظيرة.



وذات ليلة تحرَّك كلبٌ صغير بعيداً عن مِخْدَعه، لعلَّه ذهبَ يبحثُ عن أمه فى تلك الليلة الباردة. وكان العجوز مستغرقاً فى النوم، لكن أذنه اعتادت أن تتحسس الأصوات ولم يكن فى تلك الليلة أصوات بل سكون تام.

وفى الصباح ذهبت الكلبةُ «لاكى» كعادتها إلى صغارها لترضعهم فوجدتْ واحداً من صغارها مختفياً. بحثت فى المكان، فلم تجد شيئاً. فجُنَّ جنونها وراحتْ تجرى كالمجنونة حتى وصلت إلى الراعى الصغير «أحمد» وهى تبكى بكاءً شديدًا.

قال أحمد لجده: لابد أن شيئاً ما حدث لكلابها.. دعنى أذهبُ ياجدى لأرى ماذا حدث؟

ذهب أحمد إلى شجرة التين ثم عاد غاضباً وقال لجده: يبدو ياجدى أن الذئب اللئيم خطف أحد صغارها.

قال العجوز: نبحث عن آثار أقدام الذئب ونتبعها لنرى إن كان هو الذى خطف الكلب الصغير أم لا؟..فقد يكون الكلب الصغير خرج يبحث عن أمه ثم ضل طريقه..

خرج العجوز بالشياه إلى المرعى الخصيب عند الجدول الضَحْلِ، بينما ذهب الغلام ليتتبع آثار الأقدام، فبدأ من شجرة التين، ثم تابع الآثار حتى أول التلال، ولكن هناك أصبحت الأرضُ صخريةً، وحاول أحمد العثُور على آثار أقدام.. ولكن هَيْهَاتَ فالأرض صلبة ولم تحتفظ بآثار أقدام الذئب.



صعد أحمد التل وهو يقول لنفسه: لابد أن أقتل هذا الذئب اللئيم، الذى خطف الكلب الصغير المسكين.

ورأى أحمد هناك بعض الأعشاب والشجيرات، وبعض الأرانب البَرِّية تظهر فجأةً ثم تختفى فى جُحورها.

فرجعَ وانياً حزيناً إلى جده عند جدول الماء الضَحْل، حيث كان جده يسقى الشياه.

نظر العجوز إلى أحمد، فرآه حزيناً فأدرك الحقيقة وظلا مُدةً لا يتكلمان عن الذئاب أو الكلاب.

وذات ليلة كان الغلام يقطع الأخشاب، وكان الجد يطهو الطعام على النار وبعد العشاء جلسا يتحدثان، وكان أحمد لا يزال حزيناً.

قال أحمد لجده: إن الذئب هو الآن عدوى الوحيد. قال العجوز: تذكر يا أحمد أنك لم تعثر على آثار أقدام عند التل لكى تتهم الذئبَ بخطف الكلب الصغير.

هز أحمد رأسه وقال: لقد رأيتُ ياجدى مايكفى. إننى أظن أن تكون هذه أثار ذئب أُنثى.

التف أحَمد فى بطانيته، والتفَّ الجدُّ فى بطانيته، ثم أخذهما النُعاس .

وفى الصباح رحل العجوز والغلام بالغنم إلى الجانب الآخر من الجدول الضَحْل، وسارا بالقطيع حتى رأى الجد هامات الجبال الشاهقة تبدو قريبةً جداً وكانت زهور الصبار



الحمرء الفاقعة، والبيضاء الناصعة تملأ الأرض فى تناسق جميل. مما جعل الغلام يردد فى سرِّه: سبحان الله.. ما أجمل هذه الأزهار التى تخرج من بين الشوك!

مرت أيام والغلام وجده لا يسمعان للذئاب بالليل حسًّا ولا صوتاً. وذات ليلة باردة، وقبل الفجر، بينما كان العجوزُ يُخْرِجُ رأسَه من تحتَ الغطَّاء إذا به يرى عينان تبرقان فى الظلام وتُشعَّان نوراً.. إنه الذئب!

سحب العجوز مسدسه من تحت الوسادة بهدوء ثم صوَّبه ناحية الذئب، وضغط على الزناد فأحدث صوتاً ضعيفاً: تك: ! دون أن تخرج رصاصة.

وهنا تذكر العجوز أنه لم يُعَمِّر مسدسه قبل النوم.

استيقظ الغلام على إثر هذا الصوت، واستيقظت أيضاً الكلبةُ لاكى وجاءت مُسرعةً تنبحُ، حتى وقفت أمام الذئب.

كان الذئب واقفاً خاشعاً، يحنى رأسه بانكسار كأنه يعتذر.. دُهِشَ الجد، ودُهش أحمد من هذا السلوك، حتى الكلبة يبدو أنها أيضاً لم تصدق.

كانت لحظة رائعة عندما مشى الذئب، باستحياء وبُطء ناحية الكلبة، وخَطَت الكلبةُ بضعةَ خُطوات ناحيته، ووقفا أمام بعضهما يلمس كلاهما أنفَ الآخر.

صاح الغلام: انظر ياجدى.. ماهذا الذى يحدث، هل ذابتْ بينهما العداوةُ - هل هما يتصالحان؟!! إننى لا أكادُ



أصدق!.. هل شعر الذئبُ بذنبه فجاء إلينا مستسلماً معتذراً؟!

قال الجد وهو فى دهشة: مشهد غريبٌ وعجيبٌ حقاً.. يبدو أن الأمر كذلك ياولدى!

ولم تمْضِ لحظةٌ حتى أدار الذئبُ وجهَه، ومشى وانياً بجانب الغنم ثم صعد التلَّ، ثم التفت إلينا ومضى فى طريقه.

وعادت الكلبةُ إلى صغارها لترعاهم.

قال أحمد لجده: إذا جاء الذئب إلى هنا غداً سوف أقدم له واحدة من هذا البطيخ.

ضحك الجد وقال: هل أصبحت صديقاً له ياأحمد.. أليس هو عدوك الوحيد؟!

قال أحمد: كان عدوى.. لكنه الآن لم يَعُدْ عدوى بعد أن اعتذر عن ذنبه.

وفى المساء كان القمرُ ساطعاً، والجوُّ خاشعاً، والسماء صافية، وسمع الغلام وجده عُواءً غريباً، وغناءً جميلاً..

إنه صوت الذئب لكنه ليس الصوت الذى اعتادوا سماعه.

قال أحمد: أتسمع ياجدى.. إن الذئب الليلة يشدو..

قال الجد: إنه الليلة يُغنى للقمر.. إنه يُحب الضياءَ كثيراً ويعشقُ القمر.

يبدو أنه بات الليلة شبعاناً من أكل أرنبٍ برىّ.

« تمت »